الامير حيدر احمد الشهابي

وتاريخه

الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان

٢

نسخ الكتاب

لما توفي الامير حيدر أحمد سنة ١٨٣٥ تبعثرت مكتبته وضاعت النسخ الاصلية من تاريخه الخطي . وبقي الحال على هذا المنوال زمناً طويلاً . ولما عُني نعوم افندي مغبغب بطبع هذا التاريخ لم يُوفَّق الى نسخة المؤلف نفسه ، فاكتفى بما وجده في مكتبة المرسلين الاميركيين في بيروت ، ونشر نسخة القس عالي سميث الاميركاني التي لا تزال محفوظة في المكتبة المذكورة . وكنا ، قبل ان طلبنا الى حكومتنا اللبنانية الموقرة ان تنشر هذا التاريخ ، قد تحققنا وجود نسخ متعددة منه مختلفة من حيث النصّ والايجاز والاسهاب .

ثم لما عزمنا على نشر الكتاب وراجعنا القسم الاكثر من نسخه الخطية ، وجدنا انها تجتمع في فصيلتين كبيرتين ترجع احداهما الى نسخة القس عالي سميث ، والاخرى الى نسخة غيرها لم نكن نعلمها . فدفعنا الأمر الى التفتيش بين هذه النسخ لعلّنا نجد نسخة المؤلف نفسه . ولاحظنا عندئذٍ ان نسخة الآباء اليسوعيين رقم ١٦٠ تبتدئ بهذه العبارة « الجزو الثاني من تاريخنا المسما غرر الحسان في اخبار ابنا الزمان » . ومما لفت نظرنا ايضاً الاختلاف بين خط هذه العبارة وخط سائر المخطوطة . فاعتقدنا انها نُسخة المؤلف ، وذهبنا نفتش عن نماذج من خطه لاجل المقابلة . فقصدنا اولاً المقرّ البطريركي في بكركي ، وبعد الفحص والتدقيق لم نجد اثراً واحداً من خطّه فيها ، اذ ان جميع الصكوك التي تتعلّق به هي بخطّ غيره وليس عليها من آثاره سوى خاتمه المعروف .

عندئذٍ طلبنا الى حضرات العلماء المؤرخين الخوري بولس قرألي ، والخوري

قسطنطين الباشا ، وعيسى افندي اسكندر المعلوف ، وسليمان بك عز الدين ، ان يتولونا بلطفهم المعهود ويساعدونا في التفتيش . فتوجهنا جميعنا الى دير القرقفة ، ودير مار جرجس الشير ، فلم نظفر بشيء من آثار الامير الخطية . ومن ثم قصدنا دير السيدة في شملان ، فعثرنا في مجموعة صكوكه الشرعية على عدد وافر من الحجج التي ترجع الى الامير المؤرخ . وما ان قلّبناها وأنعمنا النظر فيها حتى وجدنا ضالّتنا المنشودة . فهو يقول في احد هذه الصكوك « محرره بخطه حيدر احمد شهاب » . وبعد المقابلة بين خطّ هذه الصكوك وخطّ العبارة الواردة في اول النسخة اليسوعية تأكدنا ان القلم والقاعدة والخطّ في جميعها واحدٌ . وان النسخة المشار اليها هي نسخة المؤلف بالذات . ومما تأكدناه بالطريقة نفسها ان المخطوطة اليسوعية رقم ١٦١ ، ومخطوطة الجامعة الاميركية رقم ٣٨٠٤٤ هما للأمير نفسه ايضاً وتحملان عدداً وافراً من الاسطر بخطه .

وظهر لنا بالوقت نفسه ان قسماً من مخطوطة الجامعة الاميركية رقم ٣٨٠٤٤ هو بخطّ مَن كتب بعض صكوك الامير الموجودة الآن في بكركي وشملان ، وقد يكون قهرمانه سلوان ابو نحول كما يعتقد الاستاذ المعلوف[1] . ولعلّ القسم الاكبر من المخطوطة اليسوعية رقم ١٦٠ هو بخط الشدياق انطون الديراني ، وذلك بدليل ما نقله الينا حضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني عن القس عبد الاحد حيتوره اللبناني من ان الشدياق انطون كان من كتّاب الامير المؤرخ .

ولما كانت هذه النسخ الثلاث لا تعي الا اخبار الجزءين الاخيرين من تاريخ الامير المذكور ، رأى من الواجب علينا ان نجد نسخة اصلية للقسم الاول . أو ، اذا تعذّر ذلك ، علينا ان نجد ما يحلّ محلّها من الدقة والأمانة في النقل . فنقول اننا لم نُوفّق حتى الساعة الى العثور على نسخة اصلية للقسم الاول من هذا التاريخ . ولذا نرانا مضطرّين ان نقبل القسم الاول من نسخة عالي سميث ونحلّه محلّ الاصل المفقود . وذلك لان القس عالي سميث قال سنة ١٨٤٩ ، في المجلة الاسيوية الالمانية ، انه استنسخ هذا القسم من تاريخ الامير حيدر عن

---

(١) ولعلّه الذي عناه الشدياق بقوله : « فكان مفوّضاً اموره المعاشية الى رجل لئيم شرس الاخلاق عَبْدَهِ » (الساق على الساق ، ص ٢٧-٢٨)

نسخة المؤلف نفسها[1] . هذا ولا يخفى ما كان عليه صاحب الكلام من العلم العالي والاخلاق الطيبة ، فهو ممن عُرف بالصدق ومن الذين لا يتّهمون فيما يقولون فنكون ، والحالة هذه ، قد ظفرنا بالاصل نفسه لتاريخ لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، وبنسخة عن الاصل للاخبار التي سبقت زمن الشهابيين . فلنتفرّغ الآن لفحص هذا التاريخ من الوجهتين العلمية والفنية ، فنتأكد قيمته ، ونفيه حقّه من العناية والاهتمام.

قيمة الكتاب

محتوياته

يتناول هذا التاريخ الأخبار السياسية، وبعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية وشيئاً من الحوادث الطبيعية ، التي جرت في لبنان ، من ناحية خاصة . ويعرض، من ناحية عامة، لبعض ما يجري من هذه الحوادث في فلسطين وسورية وسائر اقطار الشرق الادنى ، وبعض البلدان الاوروبية . وجميع ذلك منذ ظهور الدعوة الاسلامية الى قُبيل وفاة المؤلف عام ١٨٣٥ . وهو مرتّب ، مثل غيره من التواريخ العربية ، حسب السنين الهجرية . فيبتدئ بأخبار السنة الاولى للهجرة ، وينتهي بحوادث النصف الاول من القرن الثالث عشر.

اسه واقسامه

وقد قسّمه المؤلف الى ثلاثة أقسام ينتهي اولها باخبار سنة ١١٠٨هـ. (١٦٩٦م) ، والثاني بحوادث سنة ١٢٣٤هـ. (١٨١٨م) ، والثالث بما ورد قُبيل سنة ١٢٥١هـ. (١٨٣٥م) واسمه في جميع هذه الاقسام « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان » . فليس من اسماء خصوصية للاجزاء الثلاثة كما هي الحال في نسخة المرسل الاميركي عالي سميث ، وفي غيرها من النسخ التي ترجع اليها .

مصادره

ويظهر من مطالعة القسم الاول من المؤلف ، ان هذا القسم منقول عن تواريخ الطبري ، والمسعودي ، وابن العبري ، وابن الجوزي ، وابن سباط ، وغوليلموس صاحب صور ، وبارونيوس ، وصالح بن يحيى ، والخالدي الصفدي.

(١ Z. D. M. G., *Notizen und Correspondenzen*, III, 121-123.

واكثره عن تاريخ الطبري كما صرّح بذلك المؤلف نفسه في المقدمة

أما اخبار الجزئين الاخيرين فانها مأخوذة ، على ما يظهر ، من مذكرات الامير الخصوصية ، ومن الفرمانات الرسمية ، والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة ، ومن اقوال المؤرّخين المعاصرين كالقس حنانيا منيّر ، والقس روفائيل كرامه ، والقس قسطنطين طرابلسي ، والمعلم نقولا الترك ، والمعلم يوسف العودا ، والشماس انطونيوس الميطوريني ، ومؤلف تاريخ الجزار ، والجبرتي ، والمعلم ابرهيم العودا في اخبار سليمان باشا وعبدالله باشا ، وغيرهم .

طريقة المؤلف في التدوين — معاونوه

ويتضح من مخطوطاته الاصلية ، ومن اقوال معاصريه انه كان يُعِدُّ دفاتره فيأمر كتّابه ان يستنسخوا له هذا الخبر وذاك مما كان لديه من التواريخ ، وان يتركوا بياضاً هنا وهناك لاجل الزيادة . ويظهر ايضاً من مطالعة المخطوطات نفسها ، ومما ورد فيها من خطه ، انه كان ينسخ أحياناً بيده ، وانه كان يقرأ ما يأمر باستنساخه . ولعلّ في اقسام هذا التاريخ ما كان يُملي املاءً على النسّاخ ، يدلّ على ذلك بعض الاغلاط الاملائية في كثير من الكلمات التي يظهر الخطأ في كتابتها وتكون صحيحة اذا سُمعت ملفوظةً ، كما ورد في تصحيف الشطر التالي: « ولا اهلي ارى اهلي »[1] فكتب الكاتب: « ولا اهلي اراه اهلي » ، وفي تصحيف « ذاقوا » التي كُتبت «ضاقوا»[2] . وهذا التصحيف الاخير يدلّ على ان الكاتب من بلاد الشوف ، وقد يكون من الدروز او من ابناء القرى المختلطة ، هذا اذا كان المملي لفظ « ذاقوا » بالذال المعجمة . ولا يخفى ان الدروز ومجاوريهم يميلون بلفظ الضاد الى شيء من الصفير ، وهو اللفظ الاصلي . فيكون الكاتب قد رسم الكلمة على حسب لفظه هو . اما اذا كان المملي قد لفظ « داقوا » بالدال المهملة ، وهو كثير بين عامّة لبنان ، فيكون الكاتب إما من نصارى قرى الشوف الداخلة في منطقة الجرد الجنوبي او المناصف ، واما من نصارى المتن الاعلى . وهوّلاء

١) اطلب الصفحة ١٩ من طبعتنا ٢) اطلب الصفحة ٢٢٩ من الطبعة نفسها

يفخمون الدال حتى يخرجونها ضاداً سوية في ما عدا الصفير . وامثال هذه التصحيفات كثيرة في التاريخ اكتفينا منها بما تقدّم دلالةً على ما تفيدنا من طريقة املاء الكتاب ومن صفات كاتبيه وناسخيه.

وممن تعاطوا مهنة النسخ ، لدى الامير المؤرّخ ، أحمد فارس الشدياق[1] ، وسلوان ابو نحول ، وفرنسيس ابو نجم ، والشدياق انطون الديراني .. ويروي الشيوخ « ان الامير اجرى الصلات للادباء فكثروا حوله وساعدوه في تاريخه منهم اسعد الشدياق ، والمعلم بطرس كرامه ، والقس حنانيا الـ ... وممن اشتهر بتقرّبه من الامير المؤرّخ وباعتنائه بتاريخه « الفرر الحسان » الشيخ نصيف اليازجي . فهو الذي نسخ الجزءين الاخيرين من نسخة عالي سميث المشار اليها آنفاً ، بدليل ما كتبه عليهما القس سميث نفسه ، وبدليل المقابلة بين خطّها وخطّ اليازجي بامضائه في مجموعة الفيكونت فيليب دي طرازي .. وقد وجدنا جزءاً من هذا التاريخ بخطّه ايضاً في مكتبة بكركي. ويقول الاستاذ جرجس بك صفا ان نسخة بكركي هي بخط اليازجي الكبير اهداها جرجس بك الى المرحوم البطريرك بولس مسعد. ويظهر من مطالعة هذه النسخ ومقابلتها بنسخ المؤلّف ان الشيخ اليازجي لم يكتفِ بنسخ هذا التاريخ ، بل اطلق العنان لقلمه ، فصحّح ، واضاف ، ونقّص . وليته لم يفعل !. ونسخته هذه هي أساس الجزءين الاخيرين من طبعة المنيب التي ظهرت في مصر عام ١٩٠٠ . وممن قابل هذه الطبعة بطبعتنا الحاضرة ، ولا سيما ما خصّ موادّ سنة ١١٠٩ ، و ١١٣٦ ، و ١١٨٤ ، بل القسم الاخير بكامله ، وجد من الفروق والاصلاحات والاضافات والاختصارات ما يكفي وحده لتبرير قيامنا بهذا العمل الشاق[2].

---

١) الساق على الساق ، ص ٢٤

٢) اطلب مقال الاستاذ المعلوف المشار اليه سابقاً في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٣-٢٢٢

٣) وقد ذكر الاستاذ المعلوف قسماً من اغلاط طبعة المنيب في المجلة البطريركية المارونية ، بعد ان قابل الطبعة المذكورة بنسخته المأخوذة بالحرف عن نسخة المؤلّف الظاهرة اليوم بالطبع.

صفات التاريخ – بعض محاسن الطبعة الجديدة

ولا نرى بدًا من القول ان الامير المؤرّخ لجبعتن بضبط اخباره ولم يمحص حقائق تاريخه. وهذا أمر ظاهرٌ لا مجال للجدال فيه. وانّ من يراجع الاخبار التي ستَرِد في هذا الكتاب المطبوع يرى مثلًا ان القتال الذي جرى بين أسعد باشا والانيرة ملحم مدرَّن تحت أخبار سنة ١١٥٧هـ. (١٧٤٤م) وتحت أخبار سنة ١١٦٨هـ. (١٧٥٤م) ايضاً. وقد ورد مقتل أحمد زرو التاجر بين اخبار سنة ١٢١٨هـ. (١٨٠٣م) بدلًا من ١٢١٦هـ. (١٨٠١م) كما جاء في الجبرتي، الى غير ذلك من مظاهر السهو والخطأ.

ومهما يكن من أمر هذا التاريخ فانا نرى لـه حسنات كثيرة. منها انه اطول الاصول واكبرها لتاريخ لبنان في الآونة الحديثة؛ وان قسماً مهماً منه دُوِّن في العصر الذي وقعت فيه الحوادث؛ وان راوي بعض الحوادث كان من اقرب المقرّبين لحكام ذلك العصر.

هذا وما يظهر منه الآن هو أكمل وأصحّ مما ظهر عام ١٩٠٠ في مصر. ذلك ان مـا ظهر وقتئذٍ من الجزءين الاخيرين لم يتجـاوز الـ٢٥٠ صفحة بينما الاصل الذي نعنى بنشره الآن والذي يتعلّق بالمدة نفسها سيتجاوز الـ٧٠٠ صفحة. ومـا ظهر في تلك الطبعة يقف في اخباره عند انتهاء السنة ١٢٣٦ هجرية (١٨٢٠م). اما ما ننشره اليوم فانه يتناول زيادة على ذلك اخبار السنين الجازية بـين ١٢٣٦ و١٢٤٥هـ. (١٨٢٠ و١٨٢٩م). ومن فوائد هذه الطبعة انها ستشمل جميل ما كتبه المعلم نقولا الترك عن تاريخ الحملة الفرنسوية الى مصر ما طبع منه عام ١٨٣٩ وما لم يزل خطاً[1]. الى غير ذلك من الاختلافات العلمية والفنية المهمة التي تنجلي تماماً لدى المقابلة بين الطبعتين.

هذا هو كتاب الغرر الحسان الذي نعنى به اليوم وهذه هي فوائده.

اسد رستم فؤاد افرام البستاني

---

١) راجع في شأن هـذا التاريخ ما كتبه الاستاذ المعلوف في «المشرق» (٢٩ [١٩٣١] ٢٨٤–٢٩١).